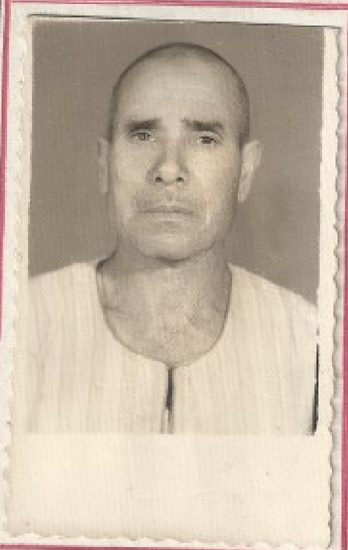
عابر السبيل
والمسافر الغريب



المرحوم الشيخ / حسانين احمد مسلم

الاثنين

٢٥ من المحرم سنة ١٤٠٤ هـ ● ٣١ أكتوبر سنة ١٩٨٣م

(تاريخ الانتقال)

يا مُنكِراً لهمُ الكرامةَ بعدَ أنْ
سكنوا الضريحَ وهمْ بهِ أحياءُ

أَتُجيزُها والجسمُ يحبِسُ روحَهُ
وتكفُّها والحَبْسُ منه قضاءُ

إنَّ الكرامةَ فعلُهُ سبحانَهُ
والحيُّ والمقبورُ فيه سواءُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

قال الله تعالى

• أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ •

صدق الله العظيم

الولاية درجة يعطاها العبد من الرب بعد أن يبشر نفسه بما عند الله من الجزاء والثواب .. وهي عطاء خاص يتفرد به أولئك الذين عاينوا الله وكاشفوه ورأوه بصرًا وبصيرة .. رأوه بصرًا في آلائه وخلقه وكونه .. ورأوه بصيرة بعقولهم وأنفسهم وقلوبهم وجوارحهم وحواسهم وكل كيانهم .. أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

مقدمة الكتاب

إن الذي دفعني إلى الكتابة عن حياة
المرحوم الشيخ حسانين أحمد مسلم ليس
صلة القربى التي تجمعني به وهي الأبوة
ولكن لكونه كانت حياته مدرسة شاملة
تعلم التصوف والزهد والكرم والحب
في الله ولله وعن الله وبالله ومع الله،
تعلم التسامح والبذل والتفاني في
حب الناس دون علة مادية
أو حاجة تجر نفعا أو لغرض دنيوي.
كان معهد علم يتعلم فيه الإيثار
وحب الله بالليل والنهار .. وحب
أولئك الصالحين الذين ذاقوا
فعرفوا .. وساروا على الدرب
فوصلوا .. وأمدوا فالتزموا
حتى صاروا صديقين مخلصين،

رأيت لزاماً علىَّ تجاه هذا الأبِ الصالحِ
والمعلمِ البصيرِ والولىِ المنفوح
والقطبِ المُعْطَى .. والعابدِ الرابح
والعاشقِ الملهمِ .. الذى كان مُتخففاً
من ثُقْلِ المادةِ مُسْتكثراً من ضوءِ
الروح حتى صار شَفّافَ الروح
نافذَ البصيرةِ ثاقبَ الرؤيةِ
جمع بين العلمِ والعملِ والعبادةِ فأصبح
وقد يَحْمِلُ شخصيةَ المسلمِ الذى
كُلِّفَ فرضىَ وبُويعَ فوفّى وعُوهد
فأتمَّ فرضىَ عن الله ورضىَ اللهُ عنه.
فرأيتنى أن أوفيه حقَّه ميتاً وأُهديه
هذه الكلماتِ الصادقةَ من ابنه الذى
هو منه صُلباً ومنه تعلماً وتعلُّماً
لعلَّه يرضى عنّى بهذا الصنيع فقد
كان فى حياته الدنيا لا يرضى الإطراءَ أو المدح
أو التزكيةَ بل كان يتوارى عن كل ذلك.

والشيخ - يرحمه الله - لم يكن من أولئك الذين
يحبون التحدث عن النفس خشيةَ الفتنة
ومخافة الافتتان .. بل كان يؤثر التخفى
والبعد عن كل ذلك معرفةً منه أن الله
هو مناطُ أمله ومقصدُ فكره وأمل
قلبه .. وعلى ذلك فقد كان الشيخ محترماً
فى نفسه محبوباً من الآخرين .
فقد كان بجسمه مع الخلق وبروحه مع
الخالق .. لا تشغله الدنيا وما فيها
عن لحظات الحب الإلهى والتفانى
فى القرب .. فكنت تراه يذكر الله
وهو فى العمل دون سائر العاملين معه
حتى صدق فيه القول : إنَّ من العباد
من إذا رأيته تذكرت اللهَ .. فقد كان
الشيخُ ذاكراً اللهَ فى كل أحواله وكان
لسانه رطباً بذكر الله حتى عُدَّ من
الذاكرين اللهَ كثيراً .

أحمد الحساني أحمد مسلم

الكِتَابُ

السيرة الذاتية للشيخ

يقع هذا الكتاب في ثلاثة أبواب هي : أولاً : حياة الشيخ وتكوينه
ثانيًا : الولاية والجذب والحبّ
ثالثًا : المرض والانتقال والكرامة

ويقع كل باب في ثلاثة فصول هي :

الباب الأول
- الفصل الأول = نسبُ الشيخ
- الفصل الثاني = أعمال الشيخ
- الفصل الثالث = تكوينُ الشيخ ونسيجُه

الباب الثاني
- الفصل الأول = الوِلايــة
- الفصل الثاني = الجَذْبُ
- الفصل الثالث = الحُبّ

الباب الثالث
- الفصل الأول = مرضُ الشيخ
- الفصل الثاني = الانتقالُ والوفاة
- الفصل الثالث = كرامةُ الشيخ

البابُ الأولُ

حياة الشيخ وتكوينه

الفصل الأول

نسب الشيخ

ولد الشيخ حسانين أحمد مسلم في يوم ١٧ مارس سنة ١٩٢١م .. أبوه أحمد الحسانين أحمد مسلم وأمه ست العيلة أم أحمد عبيد ..

وكان أبوه ذا باعٍ كبيرٍ في العقل الراجح والخلق الحسن وكرم النفس وسخاء اليد حتى عُدَّ من عِلْيةِ القوم في زمانه فقد اشتهر بصدق القول وطيب الروح ومَردُّ ذلك لملازمته لخاله العالم الشيخ إبراهيم مسلم الذي اكتسب منه فصاحة الكلمة وبلاغة البيان ..

فكان يَعْرِفُ أنَّ مَنْ أَحبَّ قوماً فهو منهم ..

وكان هذا الأبُ جواداً بكل ما عنده فلا يضِنُّ على بخيلٍ ولا يقهر يتيماً ولا ينهرُ سائلاً وكان يُحَدِّثُ بنعمة ربه الأمر الذي جعله من الرجالِ المعدودين من أهل الصلاح .

وكانت أمه تنحدر من أهل كرم ومروءة
من بلدة « بلبيس » بمحافظة الغربية .. وكان
أهلها أهل مودة وعلم ورسوخ قدم
في معرفة الله فقد كان لها أخ شيخ
عالم هو الأستاذ الشيخ محمد عبيد
المدرس بالمعاهد الأزهرية وكلية أصول الدين
والذي انتقل إلى جوار ربه بعد حياة
كلها علم ومعرفة لله وتقوى ملأت قلبه
ولقد كانت لهذا الشيخ أثر ملموس
في سلوك ابن أخته الحسانين حتى كان
دائم التحدث عن مآثر خاله ويتخذ من
كلامه وأفعاله حجة دامغة ..
وقد عاش الحسانين خاله زمناً اكتسب
منه حب الله وحب أوليائه وحب
المساكين حتى شب على كل ذلك منذ صغره
وأصبحت هذه الصفات من أشهر سماته
بعد أن صار فتى يافعاً .

ولم ينعم الحسانين بحياة طويلة مع أبويه فقد عاصرهما مدة اثنتي عشرة سنة حتى انتقلا إلى جوار الله .. فقد توفيت الأم ست العيلة أولاً ثم توفي الأب بعد أربعين يوماً من وفاتها .. وخلفا الحسانين وأحمد ومسلم وفاطمة وأمينة .. وقد نال الحسانين مكانة خاصة لدى أبويه ذلك لأنه جاء على رأس البنات ففرح به أبواه فرحاً جماً .. وتطلعا إلى قيمته ودعوا الله أن يكتب له العمر حتى يرياه قرة عين لهما .. وقد رزقهما الله من بعده الغلامين أحمد ومسلم فاطمأن قلبا الأبوين ومن طريف الحديث عن حب الأب لابنه الحسانين أنه كان ذات مرة آيباً من سفره ومر على الشيخ محمد يونس رضي الله عنه .. فقال له الشيخ المكاشف : إن في بيتكم مصيبة ولكنها هينة .. ففزع الأب وأسرع إلى البيت فإذا بالناس يحيطون بابنه الحسانين الطفل وقد وقع من فوق سطح المنزل ولكن الله كان حافظه فلم يصب بسوء -

وكان الشيخ حسانين -يرحمه الله- دائم التحدث عن والده لأنه كان يرى فيه المثل الأعلى للاستقامة والصلاح لأن الأب كان حنونا عليه من ناحية ولأنه كان يأخذه معه حيثما ذهب وحيثما جاء فغرس فيه روح الترحال وحب الناس .. حتى أن الشيخ كان يردد دائما أن أباه كان يصحبه معه في مولد سيدي أحمد البدوي رضوان الله عليه فبورك هذا الغلام منذ طفولته وحبب إليه زيارة أضرحة الأولياء الصالحين حتى صار عشقهم هوى في نفسه وحبهم يملأ كيانه ونما ذلك عنده عندما صار رجلا مكتملا وسوف أوضح هذه الخصلة في الباب الثالث في فصل الجذب ..

وأعمام الشيخ هم : الحسين وعرفة وعبد الخالق وحمزة وعماته هن : ست العيلة وهندية وعز ..

وكان الشيخ يقول كما يقول الناس :

إن أباه أحمد يأتي في الطبقة الأولى بالنسبة لإخوته وأخواته فقد كان يفوقهم رجاحة عقلٍ وكرم نفسٍ وسخاء يدٍ حتى كان مرآةً لهم جميعهم .. وسوف يكون الشيخ هو الآخر خلاصة إخوته وأخواته ليكون وريث أبيه في شيمه.

أجل لقد فاق الشيخ أباه وتخطاه في جميع محاسنه فقد غربل ونقّى وصفّى وشذّب وهذّب وحسّن ليكون وليًّا مصفًّى من خيرة الناس.

وقد تعاهد الشيخ نفسه بالتربية فلم يركن إلى الذين ظلموا أنفسهم ولم ينخرط في سلك الغاوين ولم يدنُ من مزالق التردّي فقد استغلّ شبابه في الطاعة والعمل بعد أن حاز العناية قبل الولاية، ولذلك كان غريبًا في كل أطواره بل كان لغزًا غامضًا وفكرةً مثيرةً وشيئًا يحتاج إلى طول إعمالِ نظرٍ وتدقيق فهم = فلم يفهمْه إلّا القليلون ولم يعرفْه إلّا المحققون.

وكان الشيخ يفتخر بأن جدته "الولية" الصالحة "أم عيسى" هي البركة التي نالـه منها الشيء الكثير وهذه "التقية" الصالحة كانت جدته لأمه.. وكانت ذات شأن في الصلاح والتقى حتى كانت معروفة بذلك بين الناس - وبهذا النسب العظيم قد صدق قول الله: " وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا " على شيخنا الجليل، فقد انتقل إليه الصلاح بالوراثة قبل أن يكتسبه بطول عناءٍ ودقيقِ ملاحظة. وكان الشيخ دائمَ التحدث عن عريق نسبه دون فخرٍ - حتى أنه بحث في دار علم الأنساب في القاهرة عن شجرة عائلته فاهتدى إلى أن لهم جداً ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين - رضي الله عنه - وصلى الله وسلم وبارك على جده المصطفى محمد.. وتبعاً لذلك فقد كان الشيخ يقول: إن الذى يصح من آل مسلم يكون وليّاً وكأنما كان يشير من طرفٍ خفيٍّ إلى نفسه.

وكان الشيخ يقول: إن أصل شجرتهم موجود في محافظة الشرقية ودليل ذلك الشيخ "أبو مسلم" المعروف هناك ولو ألقينا تحليلاً لغويًا لكلمة "مُسلِّم" أو "مُسلَّم" لوجدنا أن الأولى بضم أولها وكسر ما قبل آخرها تكون اسم فاعل من الفعل "سَلَّمَ" والثانية بضم أولها وفتح ما قبل آخرها تكون اسم مفعول من نفس الفعل "سَلَّمَ" والكلمة بالمعنى الأول تعني أن صاحب الاسم مُسلِّمٌ أمره وحكمه وكل شأنه لخالقه.. والكلمة بالمعنى الثاني تعني أن صاحب الاسم مُسلَّمٌ من الأذى معافىً من الغيّ معصوم من الضلال.. والفخر بالحسب والنسب منهيٌّ عنه بنص القرآن الكريم قال تعالى: « فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ».. وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » صدق الله العظيم

وكان الشيخ يعرف ذلك ويعلمه ويعمل به ولكنه كان يستشعر ذلك في نفسه، ويعرف أن الجنس الواحد والشجرة الواحدة والعائلة الواحدة والأسرة الواحدة فيها الثمين والغث وفيها الطيب والخبيث

والحق يقال إن الشيخ - رحمه الله ورضي عنه - كان من أولئك الذين صُفُّوا واختيروا ورُشِّحوا من شجرتهم ليكون وليًّا فلم يكن يضحك كما يضحك الناس ولم يكن يلهو كما يلهو الناس ولم يكن يمرح كما يمرح الناس ولم يُعرف عنه لحظةً واحدةً أنه أهدَرَ كرامته أو أهان شرفه أو أذل نفسه فقد اغتسل بماءِ الغيب لأنه كان ذا سِرٍّ وكان يضع نصبَ عينيه دائمًا حديثَ الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ» فكان مُشمرًا دائمًا، يقظًا أبدًا، مستعدًا للطاعة قبل زوال النعمتين اللتين أشار إليهما الرسول صلى الله عليه وسلم - فأخذ من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن غناه لفقره ومن عافيته لسقمه وتزود بخير زادٍ وعمل بقول حبيبه جل جلاله:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى».

جدَّ الشيخ في الطاعة ليبكي عليه موضعُ الأرض وموضعُ السماءِ وليكون مَرْضِيًّا عنه في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الآخرة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى اجْتَبَاه الله.

الفصل الثاني

أعمال الشيخ

مات والد الشيخ وخلفاه هو وأخويه أحمد
وسلم وأختيه أمينة وفاطمة ..
وكانت سن شيخنا إذ ذاك اثنتي عشرة
سنة فدخل الحياة قاصرا وكان
لهؤلاء الخمسة فدان من الأرض أو يزيد قليلا
وبيت لم يزل ضمن بيت الأسرة الكبيرة
فولي أمر هؤلاء الخمسة عمهم الحسيني الحسانين
ودخل الغلام ذو الاثنتي عشرة سنة غمار
الحياة فأفلح الأرض حتى اكتسب الجلد
والصبر والتحمل وهي الصفات التي أهلته
بعد ذلك لتحمل عبء الولاية التي
ألقيت عليه من الله .. وكان الشيخ
إذ ذاك يعمل لنفسه ولإخوته حتى لاقى
العناء الكثير والعنت الجم ولكنه
كان متحملا .. ثم رحل ليعمل في مصنع
المحلة الكبرى - الشركة - صبيا يتقاضى
قرشا ونصف القرش أجرا يوميا ..

وكم كان يذهب من شبراويش إلى المحلة الكبرى مترجلا .. مما أكسبه المزيد من التحمل .

وكان للشيخ وقتئذ رفقة" من الأصحاب كانوا دائم الذكر لأسمائهم ومنهم الشيخ متولى البهلس صديق عمره ورفيق زمانه والذى اختاره فيما بعد ليكون المغسل له وقدمات وليكون المكفن له وليكون الدافن له فى قبره وليكون الملقن له حجته .. وقد كان . وسوف نذكر ذلك فى الفصل الثانى من الباب الثالث .

ولكن الشيخ كان منذ حداثة سنه قلقا لا يعرف للراحة سبيلا ولا للهدوء مستقرا .. ربما لأن الله قد أراده وليا فلم يجعله يتخذ حرفة واحدة يرتزق منها فقد كان دائم التنقل كثير الترحال .. فلم يستقر طويلا فى العمل فى شركة المحلة الكبرى بل تركها ليعود للعمل فى أرضه فى قرية شبراويش

ثم حدثته نفسه بالسفر للعمل في شركة سباهي بالأسكندرية مع أخويه أحمد وصالح بعد زواجه من ابنة عمه الحسيني التي هي أم الكاتب ورحل إلى المدينة لعله يشبع رغبته في العمل ولكن فطرته التي فطر عليها - وهي عدم الاستقرار الوظيفي جعلته يعود أدراجه إلى قريته شبراويش ليعمل في الحقل..

وبدأ الشيخ الكرة مرة ثانية يفلح الأرض كأحسن ما يكون الفلاحون.. فقد كان مبارك الإنتاج ميمون العطاء حتى كنت ترى زرعه أحسن ممن يجاورونه ولعله كان ذكيًا في كل شيء.. وقد صدقت عليه الأيام ذلك..

وكان شيخنا معوانًا لأخته الكبرى فاطمة في زراعتها فقد بليت في حياتها بموت زوجها وهي لم تزل في شبابها فكان يفلح معها الأرض بالليل والنهار الأمر الذي جعل أبناءها محمدًا وحسينًا وأمنة يحبونه

فقد كان الشيخ - يرحمه الله - أباً رحيماً لهم وكان يشعر بالعطف والانسانية نحوهم ولذلك سيطر حبه على قلوبهم وكان اسمه رناناً فى آذانهم.

وفى تلك الأثناء تعلم الشيخ مهنة " البناء حيث وجد فيها الحرية والبعد عن عناء العمل الوظيفى، خاصة وأن الشيخ كان يتمتع بقدر كبير من الحرية مع نفسه، وكانت مهنة " البناء كتاباً كبيراً مفتوحاً على الناس عرف فيه الشيخ أقدار الناس ومستوياتهم، عرف الكريم والبخيل، عرف السخى واللئيم، عرف المحب والكاره .. عرف الصالح والطالح .. عرف الذكى والغبى، عرف الذى يعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه والذى يأكل أموال الناس بالباطل ..

عرف الذى يعرف الله ويخافه والذى ليس بينه وبين الله مودة .. عرف أصناف الناس وأشكالهم حتى كان بمقدوره أن يعطى تقريراً عن كل امرئ فى شبراويش، عن دينه وعن خلقه وعن سلوكه حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدين المعاملة ".

وكانت هذه المهنة الشاقة فى أدائها العسيرة
فى تعاملها الكنود فى حياتها - مجالاً لكرم الشيخ
فقد كان كريماً مع كل الناس، غنيهم قبل فقيرهم
فله خدماتٌ جليلةٌ لكل شخص بنى له بيتاً
أو حظيرة أو فُرناً أو قناةً أو أى بناءٍ
بحيث كان الشيخ مأكولاً للجميع بحكم طيبته
وبحكم حيائه وبحكم الرحمة التى تأخذه بالجميع
ولذلك فقد اكتوى بنارِ الناس وتلظى
بلهيب معاملتهم الجاحدة .. حتى ضاق
ذرعاً بهذه المهنة فى آخر أيامه وكره التعامل
مع الناس وملَّ الاحتكاك بهم وسئم
سلوكهم .. ولكنه الابتلاءُ والتصفية
حتى يخرج من الدنيا وقد كرهها ويدخل
فى الآخرة وقد أحبها .. وكانت هذه
حقيقةً كثيراً ما أباح بها لى كلما لُدغ من
شياطين الإنس .. حتى أنه كان يردد القول :
" اللهم اجعل الحياة زيادةً لى فى كل خير ،
واجعل الموت راحةً لى من كل شر " .

والشيخ - يرحمه الله - كان ذا حس ذكى فى مهنته فكانت البركة تحوطه فى كل طوبه يضعها، كان كان معروفاً بين الناس بهذه المزيه" .. ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان يمزج العمل بالذكر والعبادة فلم يكن العمل ليشغله عن ذكر الله وعن الصلاة ولذلك فإنه لم يكن من جامعى المال طيلة خمس وثلاثين سنة .. فقد كان للفقراء والمساكين حظ فى رزقه وماله الذى يكسبه من مهنته.

ولو كان الشيخ - الكريم - ذا اتجاه مادىّ فى دنياه لجمع مالاً واشترى أرضاً ولكنه كان دائماً يردد "كن فى الدنيا كأنك مسافر أو عابر سبيل" وهو قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت أهم سماته فى عمله أنه لا يُطالب من يعمل عنده بأجره - حياءً منه وخجلاً - ولذلك فإن لئام الناس استغلوا هذه الشيمة لصالحهم .. فكنت ترى - مثلاً - الشيخ يعمل عملاً لرجل فى قريته شبراويش وهذا العمل يساوى عشرة جنيهات فإن الرجل كان يُعطيه خمسة أو ستة ويقتطع الباقى معرفةً منه أن هذا الشيخ البنّاء يكتفى بالقليل.

يرحمك الله ياشيخ فقد ذقت الأمرين من الناس
مما زاد فى رصيد حسناتك وأثقل فى ثقل ميزانك
حتى خرجت من دنياك حاملاً زاد التقوى الذى
هو خير زاد ليوم الميعاد .. ويرضى الله عنك
ياشيخ فقد أنفقت الكثير من جهدك ووقتك
وعافيتك وأجرك وكلك - ابتغاء مرضاة الله
فقد كنت تردد قول الله تبارك وتعالى :
« لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ »

لقد أخذ الشيخ نفسه بالتعب والمشقة والجهد
فى العمل والعبادة حتى أنك تستطيع أن تصفه
بهذه المقولة : (الشيخ البناءُ العابد) .
لقد عبد الله فى عمله فلم يكن يعرف للراحة سبيلاً
وكان يخاف الله فى عمله .. وكان يعطى عمله حقه
كاملاً متقناً لأنه الله يراه ومطلع عليه ..
ولذلك فهو البناءُ الوحيد دون سائر البنائين
فى قريته أو القرى المجاورة الذى لُقّب بالشيخ
ولم يُلقّب بالمعلم .. وهذا فضل من الله ونعمة
فألسنة الخلق أقلامُ الحق .

وقد تجوّل الشيخ فى بلاد كثيرة وتسوّح ليعمل بناءًا
عَمِل فى شبراويش - بلدته - وفى ميت بزو وفى السلامية
وفى شيوة وفى كفر المندرة وفى المندرة وفى ميت اشنا
وفى ميت أبو الحارث وفى كفر عوض وفى محافظة
كفر الشيخ وفى شربين وفى الإسماعيلية
حيث بنى لأخيه مسلم بيتًا لم يزل يشهد
على ذكراه وسيرته الحسنة الخالدة .. ولأنه ساح
فى بلادٍ شتى فقد خدمَ ناسًا كثيرين وأضاف
رصيدًا من حب الناس له .. فقد كان من طبعه المزاح
الحسن الجميل الذى يجعلك تتعلق به من أول مرة
ولا تمل الاستماع إليه ولا تسأم البقاء معه ..
كان الشيخ يعرف أحاديث وقصص ومواقف كثيرة
يظل يسردها أثناء عمله حتى يروّح عن العاملين
معه ويعينهم على تحمل عبء هذا العناء الشاق
وكان الشيخ يكره بل ويبغض الغيبة والنميمة
فى عمله - لأن من المعروف أنه كلما اجتمع ناس
نتج عن ذلك الاشتغال بالغيبة والنميمة -
وأكل لحوم الناس ميتًا ونهش أعراضهم
وتبعًا لذلك فقد كان الشيخ دائم الذكر لله حتى

يتنبه الغافل عن ذكره فيجرى اسم الله على لسانه
والشيخ بهذا الصنيع يقظ فطن إلى الحديث القدسى
الذى فيه « مَنْ ذكرني في مَلإ ذكرته في
مَلإ خيرٍ من مَلئه ... » .
طوبى لك ياشيخ فقد شُغلت بعيبك عن
عيوب الناس .. وبخ بخٍ لك ياشيخ فقد
تركت مالا يعنيك وانشغلت بما يعنيك ..
وهنيئًا لك ياشيخ فلم تتخذك الدنيا ركوبة
زلولاً أو راحلة لمتعة لتكون عبدًا لها
بل عرفت ببصرك وببصيرتك أن الدنيا معبرٌ
إلى الآخرة .. وأنها دار مفرٍّ إلى دارِ مستقر
وأنها سوق فيها بيعٌ وشراءٌ ، بيعُ النفسِ والمالِ
وشراءُ الجنة والرضا .. وأنها لهوٌ ولعب
وأن الدار الآخرة لهى الحيوانُ .. عرفت أن المرء
لا يُخلدُ فى دار الدنيا وإنما هو عابر السبيل والمسافر
الغريب .. وعرفت أن من خاف الله فى الدنيا
آمنه الله فى الآخرة .. وذقت طعم الولاية
وشربت من عسل الجلالة .. ونعمت بالقرب فسعدت
من الرب .. وكُلفت بالاختيارِ فقبلت باقتدارٍ
ولذلك كنت تردد قول الحق ،
« وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » .

الفصل الثالث

تكوين الشيخ وتسبيحه

انفرد الشيخ حسانين بتكوين نفسي فريد أهّله
لتلقي الولاية التي اختاره الله لها .. فكان
يحب العزلة في كثير من الأحيان .. لأنه كان يقول
الخلوة أمّ الجلوة وهي التي تصفي الروح وتهذب
النفس ولأن هناك أوقاتاً يجب على المحب
فيها أن يبتعد عن كثير من الخلق ليصفو للخالق
وليستعد للإشراقات التي يفيض بها الكريم
عليه .. وكان إذا خلي بنفسه كان لسانه
لا يفتر عن ذكر الله وقلبه لا يغفل عن حب الله
ونفسه لا تركن إلى الدنيا .. وفي فصل الجذب
سوف نحلل هذه الصفة التي أوصلت الشيخ
إلى درجة المقربين الصديقين العارفين
وكان يختار لخلوته إمّا مسجداً أو مصلى
أو حقلاً أو سطح بيته .. وكنت إذا
قطعت عليه خلوته وجدته في حالة وجد
ونور وعطاء إلهي حيث ذكر الله والصلاة
والسلام على مصطفاه محمد وجريان لسانه

بأسماء الأولياء الصالحين الذين كان حبهم يملأ قلبه .. وكان الشيخ إذا حاول الخروج من خلوته زار وليًا أو أخًا له في الله أو سافر إلى طنطا حيث هناك أبوه أحمد البدوى كما كان يسميه .. فكان يصلى فى مسجده صلاة الجمعة كل أسبوع على مدار الشهور لرسوخ حب ذلك العارف بالله فى قلب الشيخ.

وكان الشيخ غريبًا فى كل شىء بحيث كان لغزًا لا يعرفه إلا خالقه والذين هم من أهل البصيرة .. فلم يكن الشيخ بارزًا فى صفة بحيث يتميز بها بل كان معطى لعديد من الصفات كان كريمًا والكرم أبرز صفاته وكان يكره البخل والبخلاء وكان يقول : الكرم يوصل إلى الله بسرعة لأن المسلم المؤمن المحسن يكون قد أخذ صفة من صفات الله واسمًا من أسمائه وهو اسم « الكريم » وكان يقول : اسق الماء إذا لم تجد شيئًا تعطيه .. المهم أن تكون معطاءً .. بحيث تدرج فى سلك الكرماء أحباء الكريم المعطى.

ولأن الشيخ قد لازم شيوخا كثيرين وعاشر علماء عديدين فى القاهرة والاسكندرية فى فترة جذبه .. فقد أصبح مدرسةً تُعلم علوماً شاملةً دون تخصص .. تُعلمُ التصوف الحق القائم على التشرع والتحقق القائم على العلم قبل الانخراط فى السلك .. حتى لا يُطرد من الطريق .. مدرسة تعلم الزهد وعبادة الغنىّ بدلاً من عبادة المال .. مدرسة تعلم التواضع لخلق الله فالكل من التراب وآدم منه خلق وفى التراب سنوضع ومنه سنخرج للبعث والحساب والجزاء. مدرسة تعلم التسامح فلا عدوان ولا اعتداء ولا غشم ولا ظلم ولا طيش ولا سفه ولا جهل. مدرسة تعلم الخوف الدائم من الله فلا أمان إلا فى الآخرة ومن خاف الله فى الدنيا أمنه فى الآخرة .. مدرسة تعلم الحكمة والفطنة والعمل والعبادة والتحلل من ثقل المادة والانشغال بنور الروح .. مدرسة تعلم الكلمة الطيبة وتنأى عن الكلمة الخبيثة تجعل من اللسان آلة للذكر والقول الحسن.

كان الشيخ مدرسة تعلم الاحترام والذل لله
والتواضع لخلقه وخفض الجناح للمساكين والفقراء
حتى كان من أهم سماته حب المساكين وزيارتهم
والتصدق عليهم وإعطائهم صدقة السر لأنه
كان يقول : « من أحبّ المساكين وعطف عليهم أحبّه
الله وعطف عليه » ذلك لأن المساكين يعيشون
حيارى وفي حاجة إلى منقذ لهم ... لا يسألون الناس
إلحافًا فتمشي إليهم أقدام الكرماء بالزاد والكساء
لعلّ الكريم الأعظم يمنّ عليهم بالرضا والرحمة.
وكان الشيخ مشّاءً بالليل إلى هؤلاء الزّمنى
والمقعدين والمحتاجين الذين ينتظرون الطارق
لبابهم يحمل معه ما يعينهم على نوائب الدهر
وكان الشيخ مُغتنمًا لكل لحظة يكون فيها مستطيعًا
قادرًا على الإعطاء فلم يكن يمنعه مالٌ أو عدمُه
فكان يعطي المال إذا وُجد وكان يعطي ملابسه
إذا عزّ المال .. يرحمك الله يا شيخ فقد كنت
كريم النفس سخيّ اليد مِعطاءً وما كنت عن
الفقراءِ والمساكينِ بضنين .. ويرضى الله عنك
يا شيخ فلم تقهرْ يتيمًا ولم تنهرْ سائلًا ولم
تشح وتضن بل كنت تحدثُ بنعمة ربّك ..
وكنت في عطائك تحارب نفسك وتحاربُ من كان
يعيش معك ويمنعونك عن العطاء .

ولعل أهم شيء في صفات الشيخ صفة اليقين فكان يعمل كل أعماله لا لمدح أو ثناء أو إطراء أو شكر من عبد مثله .. بل كان يعبد الله كأنه يراه .. وكان يحمل بين جنبيه نفسا طيبة تحضه على الخير فيفعله وتنهاه عن الشر فيجتنبه .. لأنه لم يكن إلهه هواه بل كان إلهه خالقه الله .. وكان وهو يفعل كل أمر في حياته لا يحكم فيه النفس والهوى بل يحكم فيه العقل والقلب والبصيرة

وكان يرى قول الله تعالى : « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » وقوله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » ... وكان يرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ » ... وكان يرى قول أحمد شوقي في قصيدته نهج البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

صَلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجِعُه .:. فَقَوِّمِ النَّفْسَ بالأخلاقِ تستَقِمِ
والنفسُ مِنْ خيرِها في خيرِ عافيةٍ .:. والنفسُ من شرِّها في مرتَعٍ وَخِمِ
والنفسُ إنْ يدعُها داعي الصِّبا تَهِمِ .:. هامتْ على أثرِ اللذّاتِ تطلبُها

والشيخ في كل أحواله يحارب نفسه حتى جعلها ركوبة زلولا ومطية طيعة وراحلة وطيئة لروحه الطيبة فكان لا يصدر عنه إلا كل طيب وكان لا يخرج من فيه إلا كل حسن جميل .

وكان الشيخ يمتاز بسمات نفسية عجيبة قلّما تجتمع في شخص واحد .. ذلك لأنه وليٌّ .. والأولياء مصنوعون على عين الله فالله يدهم التي يبطشون بها ورجلهم التي يمشون بها وعينهم التي يبصرون بها وبصيرتهم التي يكاشفون بها وسمعهم الذي يسمعون به، وكلُّ جوارحهم مقيضةٌ ومسخرةٌ لخالقها الله، ومن يحاربهم أو يعتدي عليهم فالله هو وليهم المدافع عنهم المحارب لهم (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فقد آذنته بالحَرْبِ ...) والله ناصرٌ أولياءه دائما مؤيدهم (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) ... وكما كان يسيح الشيخ ويجول بجسمه في أرض الله الواسعة .. فقد كان يسيحُ ويجول بروحه وخواطره مع خالق المُلْكِ والملكوت ذي العزة والجبروت الحيّ الذي لا يموت .. حتى رَقَّ ذوقُه .. وسَمَا إحساسُه .. ونما إدراكه .. وأصبح يظن فيرى .. ويعتقد فيحدثُ ومُنِح المعرفة الإشراقية وأُعطي المكاشفة الروحية وأُلهم البصيرة النافذة فأحبَّه الله حبًّا جمًّا وأعطاه عطاءً لا يقايَض عليه بشيءٍ وهو معرفةُ الله.

ولو أننا دققنا النظر في حياة الشيخ وحسنه
وتكوينه لوجدناه أنه كان كثير التردد على
شيوخ الطرق الصوفية وأقطابها كالشيخ
عوض عبد الله والشيخ محمود نعمات والشيخ
محمد النمر والشيخ صالح البقري والشيخ
عبد الرءوف العوض والشيخ عبد العزيز العوض
والشيخ محمد أبو ندا والشيخ عبده البحراوي
وكثيرين كان هو الذي يعرفهم بأسمائهم
وكان يختلف إليهم أو هم يأتون إليه
لقدره عندهم .. فلا كسل ولا تقاعد عنهم
فهم الصفوة من الخلق والجلوس معهم يفيد وينفع
فكان الشيخ حريصاً على وقته حرصه على حبه
لربه .. وكان لا يمل الجلوس معهم ومصاحبتهم
على أحوالهم حتى يرد ما عهم الذين شقوا منه
ولقد حق القول عليه فقد أشرب الولاية
من طول ملازمته لهؤلاء الأعيان والأقطاب
الذين هم نور الله في الأرض وصفوته من خلقه.
أجل لقد أفنى الشيخ عمره كله في حب هؤلاء
ولم يمل لحظة من وقته حتى كتب في دواوينهم

وكان هؤلاء الأقطاب يقومون بتأديبه وتعليمه وتهذيبه حتى إذا شب عن الطوق كان بمقدوره أن يتحمل أعباء الولاية .. فكان إذا مشى مع الشيخ محمد أبوندا في طريق كلفه بجمع الحطب من الطريق وتحزيم الريش وتحصيل العبوات الفارغة على مرأى ومسمع من الناس .. وهو بذلك يريد تربية روح الشيخ ليصير متواضعاً خادماً للناس متحملاً لأذاهم ، وكثيراً ما صحبه الشيخ محمد أبوندا في رحلات خارج شبراويش مترجلين وكان من ذلك السفر إلى قرية ميت حبيب مركز سمنود .. وكان للشيخ محمد أبوندا منزلة خاصة عند الشيخ فقد كان يحبه ويحترمه ويطيعه ويستمع إليه ولا يخالف له أمراً ولا يرفض له طلباً وكان يؤنسه في خلواته المتنقلة تارة بجوار المقابر عند الزاوية الحمراء وتارة بجوار سيدي الشيخ على الهندي ومرة على جسر البحر وأخرى عند جسر أبو شوارب وكانت حياة الشيخ وقفاً على الشيخ محمد أبوندا زمناً طويلاً حتى يمكن أن يقال : إن الشيخ حسانين كان تلميذ الشيخ محمد أبوندا بحق وحقيقة . وقد دخل الشيخ عبدالحميد عبد الله عبد الحميد حياة الشيخ حسانين في عام ١٩٦٥ عندما كان يتردد على قرية شبراويش وكنت وقتها طالباً في المعلمين .

وقد استفاد الشيخ حسانين من حياة الشيخ
عبد الحميد فهو رجل منفوح جوّال سوّاح ذو حال.
الولاية بادية عليه يؤدى كثيرًا من الفقراء
ولذلك كان الشيخ حسانين ملاذًا له ومأوى له في
دنيا يعز فيها الخير ويشح فيها الكرم ويندر
فيها المعروف وتقل فيها المروءة .. وكان الشيخ
حسانين يسمى الشيخ عبد الحميد أبا جوال ..
ولولا الشيخ حسانين ما عرفنا الشيخ عبد الحميد
وحقًا وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
وكان هناك شيخ من الشهداء بمحافظة المنوفية عرفه
الشيخ في طنطا وفي دسوق - رضوان الله على ساكنيهما - البدوي
والدسوقي .. وقد عرفت هذا الشيخ الشهدائى عند
طريق والدى الشيخ حسانين وقد تعلق الرجل
بي وكان الله يساعدني على إكرامه وخدمته حتى انقطعت
قدماه عنا فعرفنا أنه انتقل إلى رحاب مولاه.
وهكذا كان الشيخ متعلمًا ومعلمًا في آنٍ واحدٍ
وكان تلميذًا في مدرسة ومدرسًا في المدرسة في آنٍ واحد
ولعل هذه الشيمة وتلك المزية لا تجتمع إلا لخواص
الناس .. وهذا لا يتأتى إلا لمن كان ذا تكوين
روحى ونسيج علوى ..

البَابُ الثَّانِي

الوِلَايَة وَالجَذْبُ وَالحُبُّ

البَابُ الثَّانِي

الوِلَايَة وَالجَذْبُ وَالحُبُّ

الفصل الأول

الولايـــة

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « المؤمن ينظر بنور الله فإذا نظر بنور الله لم يخف عليه من علامات الوجه ما في القلب فإنه قوى إيمانه صار من أصحاب المكاشفات الذين يبصرون القلوب بأعين بصائرهم كما يبصرون الوجوه بأعين رؤوسهم ».

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله ».

ولقد كان شيخنا الحسانين رضى الله عنه - من هؤلاء الذين يندرجون في سلك هذا القول النبوى الشريف ذلك لأنه كان مكاشفاً معايناً مبصراً بالبصر والبصيرة لأنه أفيض عليه بتجليات مولاه .. ومنح عطاء غير منقوص - وبورك بسياج الحفظ من النفس والهوى والشيطان .. واتسم الشيخ بالصلاح منذ حداثة سنه فكانت روحه تهيم بين حب الصالحين فلم يقدح في ولي ولم يشك في كرامة صالح .. بل كان يقول: إن الذى

يرى هو وحده الذى يعرف - وكان يعنى بقوله أن مولاه أراه عياناً ومشاهدة ومكاشفة ما خفى عن الشاكين المجادلين المتكلمين))

ولعل حبّه للأولياء الصالحين منذ صغره هو الفيض الذى أُعطيه ومنحه وهو كبيرٌ خاصة وأن حب هؤلاء الأقطاب قد ملك أقطار نفسه وسيطر على شغاف قلبه فقد دخل - كما كان يقول - إسار حبهم فلم يعد لطليقه هواه وحُرّ شهوته بل قيّده الله بالحب وأوثقه بالقرب وكانت حريته فى قيده وكان تحليقه فى حبسه فقد طافت قدماه على أولياء الله الصالحين فى شتى بقاعهم فزار الإمام الحسين والسيدة الطاهرة زينب وزار السيدة نفيسة والسيدة سكينة وزار الإمام الشافعى وزار الإمام الجيوشى وزار سيدى على زين العابدين وزار أولياء القاهرة كلهم مشياً على قدميه .

ثم انتقل إلى الإسكندرية فزار الإمام أبا العباس المرسى والإمام ياقوت العرش والإمام البوصيرى والإمام أبا الدرداء وسيدى بشر وسيدى جابر الأنصارى وزار كل أولياء الإسكندرية ثم زار حبيبه سيدى أحمد البدوى فى طنطا وزار سيدى محمد عبد الرحيم وسيدى محمد البهى

وزار السيدة صباح و كل أولياء طنطا.
وزار الإمام التقى سيدى إبراهيم الدسوقى
فى دسوق وزار أباه سيدى أبا المجد
وزار شيوخ وأولياء دسوق كلهم.
وزار سيدى العزيب فى السويس وطوّف
بشيوخ كثيرين فى طريقه بين الإسماعيلية
والسويس فزار سيدى الشيخ حنيدق
وعلى العموم كان الشيخ كلما رأى مقاما ناتيئا
عن سطح الأرض زاره وتبرك به.
وزار الشيخ سيدى شبل فى الشهداء بالمنوفية
وطوّف بأنحاء المنوفية كلها محييا أولياءها
وزار الإمامين الجليلين سيدى محمد أبا خليل
وإبراهيم أبا خليل وزار الشيخ أبا مسلم
فى الشرقية وطوّف بالشرقية كلها
فزار أولياءها وحياهم وعاهدهم
وزار سيدى الشيخ حسانين فى المنصورة وزار
سيدى عبد الله بن سلام فى مركز السنبلاوين
وزار سيدى أحمد النجار وسيدى على عسقول وسيدى
على الهندى وسيدى الشيخ خضير وسيدى على عثمان
وسيدى أبا سالم وسيدى على الحرامى وسيدى إبراهيم
جمال وسيدى أبا كامل وأولياء كثيرين

كان - يرحمه الله - يذكرهم بل ويكتب أسماءهم يومًا
في ورقات تحمل مقاماتهم وكنت أنا الذي يكتب
له اسم كل ولي فوق رسم المقام وكان هذا
في عام ١٩٦١"
وكان الشيخ يرى الأولياء بكثرة في منامه
وكان يحدث بذلك ويبوح لكبار المصدقين القريبين
منه .. وإذا كان الشيخ قد أحب كل الأولياء
في كل الأرض فإنه قد أفرط في حب سيدي
أحمد البدوي لدرجة أنه كان يناديه بقوله :
(مدد يابا أحمد يا بدوي) وكان يرى روحه كثيرًا في
ساحة بيتنا هو والشيخ المرحوم محمود جاد الله ..
وكان القريبون من الشيخ يخشون ولايته فكان دائم
الوجد والحب لله حتى أنه كان ليفر بروحه
من جلسائه ولم يكن يجلس في مكان طويلًا فقد كان
دائم التنقل والترحال .. وكان في ولايته يحدث
بكلام لا يفهم ظاهره حيث كان يقوله في حالات
وجده ولحظات حبه وأوقات قربه وساعات صفائه.
وقد اختير الشيخ للولاية في سن شبابه حتى أنه
عندما ذهب ليعمل في منيا القمح بمحافظة الشرقية
كان قد أطلق لحيته وكان معروفًا وقتئذٍ بالشباب
الدرويش والمجذوب ذلك لأنه لم يكن كغيره
من المرافقين له يحب المال أو الطمع أو الشره

بل كان عابداً قبل أن يكون عاملاً من أجل المال ..
وقد ظهرت علامات الولاية على الشيخ تترى حتى
دخل مرحلة الجذب وهي التي سنتناولها في فصلنا
الثاني من هذا الباب .. وهذه المرحلة كانت أشق
فترة في حياة الشيخ لأنها كانت مرحلة الابتلاء
والتمحيص والتهذيب والتشذيب والتقليم والتفويض
والتدريس والاختبار وبالأحرى كانت هذه المرحلة
المدرسة التي تعلم فيها الشيخ قوانين الولاية وأصولها
فدرس فيها فقه الولاية وتاريخ الأولياء وجغرافية
أماكنهم وفلسفة مناهجهم واجتماع شملهم وهندسة
نظرياتهم ولغة حالهم .. وكانت هذه العلوم
من وضع الله تعالى وهي علوم الإلهام والإشراق
والإفاضة والمكاشفة والمعاينة وعلم البصيرة
وعلم الرؤى وعلم تخطي حدود الزمان والمكان
وعلم التحليق في الآفاق وعلم الحقيقة وعلم العشق
الإلهي وعلم الوجد وعلم العطاء وعلم التحدث
بنعم الله على عباده وعلم اسم الله الأعظم .
وكان قائد هذه المدرسة هو سيد الخلق قاطبة
سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم
وكان المعلمون الذين يشرفون على تعليم الشيخ
هم أولياء الله الصالحين جميعهم
ودرس الشيخ منهج كل شيخ منهم حتى عقله .

وكانت فترة تعليم الشيخ في مدرسة الولاية
فترة كلها روحانية وشفافية وسعادة
وتفاؤل ونظرة مستقبلية إلى قدرٍ عظيم
حتى أن كل من كان يرى الشيخ أو يستمع إليه
كان يعتقد أنه سيكون وليًا خفيًا
مدسوسًا في عباد الرحمن .. وكان الشيخ
حساسًا يعمل بكل ما يؤمر به من مولاه
العلي الأعلى وما يقوله رسوله المصطفى
وما سار عليه السلف الصالح ورجال
الطبقة العليا من الأولياء الصالحين
وكان يكثر من الصلاة بالليل والنهار
نفلًا وتهجدًا .. وكان يكثر من الصدقة
تطوعًا .. وكان يمشي بالليل إلى مستحقيها
لأنه - يرحمه الله - لم يكن يحب المن والأذى.
وكان يكثر من تلاوة القرآن الكريم لأنه كان
يعرف أنه حبل الله المتين وهو العروة الوثقى
والكلم الطيب وأحسن الحديث والشفاء المبين
والقول الفصل .. وكان الشيخ قليل النوم
هجادًا يُسمع صوته في أرجاء البيت
بكرة وعشيًا بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

أقوال مأثورة للشيخ في فترة الولاية :

كان الشيخ يرى الدنيا رحلة موقتة لا أمان لها وكان يرى عمره فرصة عليه أن يغتنمها قبل فوات الأوان .. وكانت هناك عبارات كثيراً ما كان يرددها الشيخ منها : الدنيا ساعة اجعلها طاعة - يارب مدد - مدد يا با أحمد يا بدوي - اللهم يامن لطفت بخلق السموات والأرض ولطفت بالأجنة في بطون أمهاتها الطف بنا يا لطيف - ياحي يا قيوم - سبوح قدوس رب الملائكة والروح - ارض يا قلبي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً - العز في الطاعة - سيبها لله - خليها على الله - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - من خاف من الله أمن - وربنا يكره البخيل - اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الرؤوف الرحيم الذي أخبر عن ربه الكريم أن لله تعالى في كل نفس مائة ألف فرج قريب وسلم .

وكان الشيخ - يرحمه الله ويرضى عنه - لا يَفْتُرُ قلبه ولا يكفُّ لسانه عن ذكر الله حيث كان يعتبر أنّ القلبَ بَعْدَ أن امتلأ بحبِّ الله قد أملى اللسانَ بالنطق لأنّ اللسان دليل القلب.

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنَّما
جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلًا

وكان دائمًا يقول: إنّ ما عند الله من النعيم لا يُنال إلّا بالجهد والمشقة وصالح الأعمال فليس هناك وقت للنوم أو الراحة، بل هناك العمل والعبادة والبذل والتضحية والمشقة والانخراط في سلك العاشقين المحبين حتى يفيض الله بالعطاء والجائزة فيكون القبول وتكون السعادة ويكون الفوز وتصلح الحال ويُرى المآل الحسن والنوال الأوفى.

أجل لقد سلّح الشيخ نفسه قلبًا وعقلًا وفؤادًا وروحًا ولسانًا وأذنًا وعينًا ويدًا ورجلًا - سلّح كل ذلك لخدمة القضية الكبرى التي من أجلها خُلِقَ الإنسان وهي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝﴾

الفصل الثانى

الجَذْب

لعلنا فى هذا الفصل بالذات سنفرغ كل ما فى حوزتنا من دُرَرٍ ولآلئ ثمينة .. ذلك لأن هذا الفصل هو أنصع أيام الشيخ وأشدها أثرًا وتأثيرًا على حياته كلها .. وهذه الفترة من حياته - يرحمه الله ويرضى عنه - كانت المدرسة التى تربى فيها خير تربية .. والمعهد الصوفى الذى نال فيه أرقى علوم الصوفية .. والكلية التى منح منها درجة الولاية .. والجامعة التى درس له فيها أقطاب الصوفية وأئمة المدد الإلهى وأساتذة الحب فى الله أولئك هم الأولياء الصالحون العارفون، ولما كان الشيخ ذا باع فى حبهم فقد أدخله الله ديوانهم ليترقى على عين منهم وليصنع على أيديهم ليتخرج وليا بارعا ذا شأن عند مولاه.

وقبل أن ألج غمار مرحلة الجذب لي أن أقول:
إنَّ هذه المرحلة خفيَّةٌ على كثيرين - اللهمَّ
إلَّا أولئك الذين كانوا قريبين من الشيخ،
وإني أُشهِد اللهَ المانحَ المعطي على أن كل كلمة
تُقال هنا إنما هي سماعٌ من الشيخ - رحمه الله -
أو مشاهدةٌ لحاله أو تلقيه مُمَّن هم عاشروه
من أصحابه وخلانه القريبين منه،

دخل الشيخ مرحلة الجذب في عام ١٩٥٨ وكانت
هذه المرحلة غايةً في الغرابة لكل المحيطين به
فظاهرها يثير الأهل ويجعلهم يقفون في وجه
الشيخ ويعترضون عليه ويلومونه.. ولكنه
كان يقول: غدًا تعلمون.. إنني محكوم عليَّ
من قِبَل الأولياء.. ليس بيدي شيء..
الله وحده الذي يعلم.. ابتعدوا عن معارضتي

ومن مظاهر هذه الفترة أن الشيخ اختلى بنفسه
وحبسها فترةً طويلةً وقيدها وألزمها كلمة
التقوى وكان أحق بها وأهلها.. وحدثنا
أنه خُيِّر بين أن يلبس جولًا وعشرين

الطرقات وبين يحبس نفسه في بيته وفي
ساحل البحر وفي مسجد أبي العباس المرسي
وفي مسجد سيدي بشر وفي مسجد
سيدي جابر الأنصاري .. فاختار
أخف الأحرش وهو الجلبس والقشل
وكانت هذه الفترة أشق فترة من حياة الشيخ
لأنه أنيط بتكاليف الولاية، وقوامها:
العشق والحب والجذب والإلهام والبصيرة
والتحدث والبسط وتخطي حدود الزهاد والمكابد
في القول، والرؤى التي تترى والمشاهدات
الليلية للأولياء، والتلقية الليلي للأسرار
التي تمنح للعاشقين .. وقد نهل الشيخ
من معين الجلالة وسقي من عسلها المصفى
وارتشف الخمرة الإلهية واحتسى الدواء العلوي
فحاز عطاء غير مجذوذ، ومنح جزاء غير منقوص
وأفيض عليه في هذه الفترة .. وكما أن العطاء
أنواع ودرجات وفيوضات فقد أباح الشيخ
بلسان حال الولاية ورقي مدارج الوصول
في فترات حبه وأوقات قيده، ونستمد
الله الملهم المانح الميسر الباسط فنقول:

وحبسه الشيخ في بيته طيلة خمس سنوات، وحُبس في
مدينة الإسكندرية في مسجد أبي العباس المرسي
ومسجد سيدي بشر ومسجد سيدي جابر الأنصاري عدة سنوات
وكان حبسه وسجنه للترقية والعطاء فكان
الإبداع والإلهام .. وعندما كان الشيخ محبوسًا
سجينًا في الاسكندرية كان نزيلًا على أحمد أخيه
ذلك الرجل الكريم الذي وثقه ورحّب به وبالغ
في إكرامه بعد أن عرف منه أنه محكوم عليه بذلك
وكان يلبّي جميع طلباته خاصة وأن الشيخ كان قد
اهتدى بالإلهام إلى تخطيط رسوماتٍ للمساجد والبيوت
وتصميم أشكالٍ هندسية غايةً في البراعة والجمال ..
وكان الشيخ أحمد أخوه لم يكن قد عرف الصوفية
بعد ولم يكن يوجه قدميه لزيارة أولياء الإسكندرية
فعرّفه الشيخ حتى أيقن أن الأولياء أهل مددٍ وعطاء
وأهل إلهام، ومصدر نفحات لمن يحبهم .. وطلب
شيخنا من أخيه كراساتٍ وأقلام ألوانٍ لرسوماته
وتخطيطاته وكان أخوه يجيبه رغم ضيق ذات
اليد لكرمه ومحبته له .. وكان الشيخ يأخذ
أوراقه وأقلامه ويجلس على شاطئ البحر

يرسم ويخطط مد وحى خياله ومن عطاء إلهامه - حتى أنه
صنع العجيب العجاب فى تلك الأونة - وشق الشيخ
مدينة الإسكندرية كلها على قدميه فى فترة وجيزة فيها
فزار كل أوليائها ومشايخها المعروفين
وكان يدونه كل ذلك فى الأوراق التى يحملها معه
فى حقيبته أينما سار وأينما جلس -
وذات مرة والشيخ يتجول على شاطئ البحر
فى طريقه إلى مسجد سيدى أبى العباس المرسى
فرأى عمالاً كثيرين يرمون حجارةً ورماداً فى
مياه البحر ،، وعساكر هنا وهناك يحيطون
بالمنطقة التى فيها العمل ،، ويسأل الشيخ
أحد الشبان عن ذلك فيجيبه الشاب بأن
الحكومة تعمل فى هذه المنطقة تحصينات
عسكرية على شاطئ البحر ،، وهنا تكون
الكارثة فقى لمح البصر وسرعة البرق
وجد الشيخ نفسه بين أيدى اثنين من
الجنود ممسكين به وفى طريقهما إلى المعسكر
وهنا يتجه الشيخ - يرحمه الله ويرضى عنه - ببصره
وقلبه إلى قباب مسجد البطل أبى العباس المرسى

وقال في سرّه يسمع نفسه : أين كراماتك ياسيدي يا أبا العباس يا مرسي ؟ - ألهذا جئنا إليك ؟ أمن حق المحبين أن يُهانوا ؟ انظر إلينا .

وفي لمح البصر وسرعة البرق وجد الشيخ نفسه بين الجند بين مدنا حبة وبين شيخ مجذوب يرتدي ثوبًا رثًا ممزق وعلى رأسه عمامة بيضاء عبارة عن قطع من القماش الممزق حافي القدمين .. يقول للجنديين اتركوه اتركوه وأعطاهم شيئًا من أيديهم وأشار للشيخ بعبور شارع (الكورنيش) ويتجه إلى حبيبه أبي العباس المرسي .. ويقف الشيخ مندهشه ويحمد الله ويشكره ويردد بلسانه وقلبه مدد يا مرسي مدد ياسيدي مدد يا عم مدد يا بطل .

وقرأ قوله تعالى : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » ويذهب الشيخ إلى ضريح سيده أبي العباس ويهيم في حبه ويطوف بخاطره ويسبح بفكره في قيمة الأولياء وقدرهم عند الله ، فيزداد عشقه لهم ويمو هيامه فيهم ويتعلق بهم تعلقًا شديدًا يصل به إلى عتبات رضاهم

وفى فترة جذب الشيخ كان ذات مرة عند الشيخ
محمود نُعمان فى ميت بزو وسأل الشيخُ حسانين قائلاً:
ياشيخ محمود أىَّ البلاد أكثر طيبةً وأولياءً
حولنا؟ فأجاب الشيخ محمود: إنها شبراويش
وسترى هذه الليلة ياحسانين ذلك.. ثم نام الشيخ
حسانين ليلته فرأى المقابر فى شبراويش وقد برزت
منها المآذن والقباب لتدل على عظمة أصحابها
ثم ذهب الحسانين الشيخ الرائى إلى الشيخ المُكاشف
ليحدثه بما رأى فى ليلته وقبل أن يتكلم بكلمة
بادَرَهُ الشيخ محمود قائلاً: أرأيت ياحسانين؟!
فقال له: نعم رأيتُ وقصّ عليه ما رأى.
وكان الشيخ حسانين فى فترة جذبه فى قيده فى
بيته عجيبًا فريدًا فقد أبدعَ وأخرجَ أروعَ
الرسُومات التى يحارُ فيها العقلاءُ فكان أنْ
رسَمَ بالإلهام مقامات الأولياء فى شتّى البقاع
وكان يناديني لأكتبَ له اسمَ كل صاحبِ مقام
على الرسم وكنتُ أشترى له الكراسات والورق
والأقلام الألوان حتى يُنفّذَ ما كُلّف به
وكان العطاءُ كبيرًا فوق الوصف فقد منح اللهُ

الشيخ موهبة الإشراق والإلهام والشفافية ،
وفكّر الشيخ في جعل الحجرة التي يجلس فيها في حينه
آيةً في الفن والجمال والإلهام فنقش جدرانها
وسقفها برسومات بديعة احتوت على مقامات
الأولياء وأسماء الله الحسنى وزخارف وأشكال
هندسية من وحي إلهامه ، حتى أنك إذا دخلت
هذه الحجرة تشعر أنك في وسط مقصورة بداخلها
ضريح ولي كبير من الصالحين .. وكانت هذه
الحجرة مزاراً للكثير من الناس الذين كانوا يترددون
على الشيخ في فترة جذبه وصفائه وخلوته.

وفي هذه الفترة أنتج الشيخ ثروة فنية كبيرة
ملأت حقيبة كبيرة وظل يحتفظ بها فترة طويلة
بعد تخرجه من مدرسة الجذب والولاية ، ولكن
هذه الثروة كانت تُقابل بالاستهزاء من بعض
أفراد أسرته حيث كانوا يحسبون بأن الشيخ
كان مخطئاً في سلوكه هذا بل وحاربوه كثيراً
بالقول والفعل لعلهم يُرجعونه عن طريقه
ولكنه كان قويّ الإرادة صُلب العزيمة
حتى عبر القنطرة بأمن وسلام.

كان الشيخ ذا باعٍ طويل في المدد الذي أُعطيه من الله في هذه الفترة النادرة من حياته فكان يحدّث بأشياء قد تُضحك من يسمع ولكنه الإلهام والإشراق .. إن الله قد تجلّى عليه فجعله ربّانيًّا وكلّما حاولت الدنيا أن تدنو منه أبعدها الله عنه لأنه يُحبّه .. فقد حبسَ اللهُ الدنيا عن الشيخ لأنه من خاصة أهله ومن نادرة أوليائه.

كيف كان يلبس الشيخ في فترة جذبه ؟

كنت إذا رأيت الشيخ في حجرته التي أحاطها رسمًا بأسماء ومقامات الأولياء والصالحين تراه لابسًا ثوبًا على جسده ومن وسطه يُطاقه ويبدو وكأنه في عمل شديد وجهد جهيد .. وكان يقضي الساعات الطوال متكئًا على أوراقه يضع عليها خلاصة فهمه عن الله ونقّى ذكائه عن أولياء الله وعظم وجدانه عن صوفية الإسلام وكان لا يملّ ولا يكلّ ولا يتطرق إليه السأم قطّ وكان كلما فرغ من رسم مقام لشيخ أو وليّ كتب عليه اسمه وتاريخ رسمه وضمّه إلى حقيبته التي هي عدّته وعتاده في الجذب.

ولما دخل عليه الشيخ أبو العيط عبد الله رحمه الله ورضي عنه رضاءً واسعًا - قال له: مبروك يا شيخ حسانين عليك الولاية .. وكانا يتزاوران ليلاً بالأرواح يُفزى كل منهما الآخر فللولاية أشكال وحالات، وللقرب مقامات ودرجات، وللوصل عطيات ونفحات وللحب اتصالات ودرجات وللعطاء أنواع ولفتات.

خلوة الشيخ في البحر :

اتخذ الشيخ خلوة له على شاطئ البحر في المكان الذي هداه الله له في آخر حياته ليبني منه مسجدًا متواضعًا وليصلح فيه قراريط يزرعها فاكهة الخوخ .. لقد اتخذ هذا المكان لخلوته والمكان عبارة عن مُصلى تقع بالقرب من الماء مفروشة بقش الأرز والحلفا وكان يجلس فيها الأيام والليالي يعبد الله وكان كثيرًا ما ينزل الماء حتى وسطه لأنه كان يقول: إن جسدي مشتعل بالنار وبدلاً من أن أقابل ذلك الاشتعال بالصراخ والصياح

كنتُ أنزل الماء لأُطفئ اللهيب الذي يَسْري في جوانحي .. وكنت وقتئذٍ طالبًا في المرحلة الإعدادية وكثيرًا ما كنت أُزوره في خلوته في البحر وكان يعطيني شمامًا وبطيخًا حيث كانت جزيرة البحر تعج بالخير الكثير آنذاك .

وكان الشيخ يتخذ لنفسه أكثر من خلوة فتارةً كانت خلوته فوق سطح البيت وتارة كانت في البحر وتارة كانت في الحقول وتارة كانت مع الشيخ محمد أبوزيد - رحمه الله ورضي عنه - ينهل من رحيقه العطر ومن بلسمه الشافي .

وكان الشيخ يقول : إنني في خلوتي أكون مع الله بالكلية جسمًا وروحًا فيُبعدني عن الخَلْق يُطهرني من الغيبة والنميمة والدنس وشطحات الدنيا الفانية وكانت خلوته ذكرًا وتسبيحًا وصلاةً على خير الناس كافةً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوة للقرآن حيث كان يحبه حبًّا جمًّا وكان يجد راحته وسكينة نفسه في كل ذلك .

وكان الشيخ يقول: من ذاق عرف، وإنني
ذقت فعرفت ورأيت عيانًا جهارًا ورأيت
لذلك رؤى حتى اقتنعت وصدقت فدخلت
حتى الشهود على قول القائل:

أَخلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقد صبر الشيخ طويلاً وكثيرًا حتى بلغ مناه
من العطاء وفتح الولاية وأُعطيها وأدمن
القرع على باب الكرامة حتى ولج فيها ولذلك
كنتُ إذا حاولتُ النظر إلى وجهه وعينيه
أراه هائمًا شاردًا في الملك والملكوت
سابحًا في بحار الشهود ومحيطات الإلهام
تكاد إذا ذكر اسم الله على مسامعه كبّر وهلّل
وحمد وسبّح حتى يرتجّ المكان الذي فيه
وإذا ذكر أمامه اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
صلّى عليه وسلّم وبارك وظل لسانه رطبًا
بكل ذلك وكان إذا ذكر اسم وليّ أمامه أثنى
ومدح وعظّم في ذلك الولي وكان يقول: إن

الأولياء في عصر ما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم السُرُج والقناديل والثريات والمصابيح والأعلام والرايات واللواءات المرفوعة ليسير السالكون على طريقهم .. فكيف نُنكر كرامة وليّ كافح في سبيل الله وجاهد في الله حق جهاده وأفنوا حياتهم عملاً وطاعة لله .. كيف ننفي عنهم تقواهم وقيمتهم

إن الشيخ حسانين رحمه الله ورضي عنه كان يحبّ أولياء حبًّا لا يُقايضه عليه بشيء مهما غلا هذا الثمن .. إنه كان مخلصًا في حبه تمامًا كنت تراه يقف يزور سيدي أحمد البدوي يقف في خشوع تام كأنما يراه ويشعر به ويحسه وكان يقول : على الزائر أن يكون مؤدبًا مع المزور فلا يرفع صوتًا ولا يطوف ولا يُقبّل شيئًا وإنما يرفع يده معظّمًا مؤديًّا التحية الواجبة لأنه جندي في حضرة قائد عظيم ذي قدرٍ عظيم فلا هَرْج ولا مَرْج .

الفصل الثالث :

الحُبُّ

ماذا كان يعني الحب في نظر الشيخ ؟

كانت كلمة الحب عند الشيخ تعني حب الله وحب رسول الله وحب صحابته وحب القرآن الكريم وحب الأولياء والصالحين وحب الناس والتواضع لهم وحب العبادة وحب العمل وحب مكارم الأخلاق وحب الموت من أجل لقاء الحبيب وحب ما عند الله من نعيم وحب الأصحاب والخلان المتقين .

فكيف كان كل ذلك عند الشيخ ؟

حُبّ اللّه : كان الشيخ - رحمه الله ورضي عنه - يعبد الله بدرجة الإحسان « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وكان يظهر دائماً أن حركاته وسكناته لله ، وكان يحب دائماً أن يراه الله على طاعة وعبادة ولا يراه أبداً على معصية ، وكان يفر إلى الله دائماً

وكان يقول دائماً : « من عرف الله حقاً تحمل كل بلية عليه »
وكان يقول : « لله رجال هم سادة الخلود وأشرافهم وإن
كانوا منكرين بين الناس » .. وكان يقول قول الله :
« والآخرة عند ربك للمتقين » .. والشيخ كان يحب
الله من أجل أنه يستحق الحب مصداقاً لقول المعصوم
صلى الله عليه وسلم : « أحبوا ربكم لما يغذوكم به من نعم »
وكان الشيخ يقول : « أحسن العبادات أن تعبد الله
من أجل أنه مستحق للعبادة » وهي عبادة الأحرار
لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ولكن لذاته
العلية وعظمته الجلية وقدرته السمية
تعالى الله علواً كبيراً المعبود بالصفات
تعبد أن أحق عنا الذات رحمة بنا وإحساناً
فتصوره يملأ الكون وإشراقه يفيض على الدنيا ..
وكان الشيخ كثير الترداد لأسماء الله الحسنى
لعل الاسم الأعظم يناله فيحبه الله ويرضى
عنه ويغفر له ويحفظه ويمن عليه ويجزل
له العطاء ويفتح له الباب فيكون من المقبولين

وكانت علامات حب الله بادية على الشيخ فكان
مع الله قلبًا وقالبًا وكان لسانه رطبًا بذكر الله
وكانت كل جوارحه تحب الله؛ أحب لسانه الله
فذكره كثيرًا بالليل والنهار، وأحبَّ قلبُه الله
فاطمأن إليه وسكن، وأحبت عيناه الله
فنظرت إلى آلائه بالحمد والشكر واستغنت عن
النظر إلى المحارم، وأحبت أذناه الله فأصغت
إلى القرآن الكريم والحديث الشريف ودروس العلم
والكلم الطيب واستغنت عن الاستماع إلى
الغيبة والنميمة، وأحبت يداه الله فأنفقت
سرًا وعلانية بالليل والنهار وساعدت المحتاجين
وعطفت على اليتامى والمساكين.. وعرفت
رجلاه الله بالمشي إلى المساجد وإلى
حلقات الذكر وإلى أولياء الله الصالحين
فقد كان الشيخ يحبُّ الله بكل جوارحه
لأنه يعلم أن السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولًا.

حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمل الشيخ - رحمه الله

وحرص عليه على تطبيق الآية الكريمة التي تقول :
« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ » فأحبّ الشيخ الرسول صلى الله عليه وسلم
وتخلّق بأخلاقه وحاول قدر الطاقة أن يتحلى
بصفاته التي جمعت له وحيزت له فقد كان الشيخ
كريمًا سخيًّا عفوًّا صبورًا متحملًا للأذى متواضعًا
شجاعًا مؤثرًا غيره على نفسه في الخير والحلو
سبّاقًا إلى المكرمات باذلًا معروفه دون أجرة
يعطي من لا يخشى الفقر والحاجة والعوز
يساعد المحتاج دون النظر إلى العطاء المادي
لا يرد سائلًا قط ولو سقاه ماءً لا يفكر
في الدنيا وزخرفها وزينتها ولا يأخذ منها إلا
بقدر الحاجة والضرورة وما فضل عليه فللفقراء
والمساكين وكان يحب الصدقة يعطيها
لمحتاجيها خفيةً بالليل لعل الله يتقبلها منه
وكانت النعمة في يده ويزهدها ويعطيها لغيره
وكان لا يخاف في الله لومة لائم وكان يطبق
قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ).

وكان الشيخ دائم الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قلبه يهفو إلى زيارته ولكن ظروف ذات اليد حالت دون ذلك ، وإن كان هذا لا يمنع من رؤية المصطفى صلى الله عليه وسلم في الرؤى وكان الشيخ - رحمه الله ورضي عنه - متمثلاً لخلق الحبيب الشفيع في كل جوانب حياته في عبادته وفي عمله الذي يرتزق منه وفي سلوكه في المجتمع.

وكان حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا على الوجد بحيث كان يهيم من ذكر أسمائه التي يعرفها كمحمد وأحمد والحاشر والعاقب والماحي والمزمل والمدثر والبشير والنذير والمبشر والمنذر والشاهد والداعي والسراج المنير.

وكان الشيخ - رحمه الله ورضي عنه - يحب كل من يحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبذل كل ما في وسعه لأحباب المصطفى (ص).

حبّ الصّحابة : كان الشيخ يعلم جيدًا أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم رجاله وشرّاح منهجه وسنته وهم كالنجوم بأيّهم نقتدي نهتدي ، فحفظ الكثير من أسمائهم من كثرة سماعه دروس العلم والدين أثناء تواجده في الإسكندرية من فترة جذبه ، ومن كثرة سماعه للعلماء في إذاعة القرآن الكريم ، ومن بعض قراءاته في الكتب.

وتمثل حبّه للصحابة - رضوان عليهم - فى تتبع آثارهم وسلوكهم فالشجاعة والكرم والإيثار والتواضع والعطف واحترام الكبير والعطف على الصغير وحب المساكين وخفض الجناح لهم والسؤال عن الأصحاب والأخلاء المخلصين، وجاهد الشيخ فى تطبيق سلوك الصحابة ومنهج حياتهم بحيث كان يشق على نفسه فى كثير من الأحايين ... وكان معجبا بطيب قلب أبى بكر ورجحان إيمانه، وكان مأخوذا بعدل عمر الفاروق وجرأته فى الحق، وكان شغوفا بحياء عثمان الذى كانت الملائكة تستحى منه، وكان محبا لعلم على الإمام المفتى الذى قال عنه عمر بن الخطاب: «لا بئس المقام فى أرض ليس فيها أبو الحسن» وذلك عندما كانت تعييه قضية فقهية تعرض له، وكان الشيخ محبا لشجاعة خالد بن الوليد وفروسيته وذكاء عمرو بن العاص ودهائه، وقد أحب كل الصحابة على شاكلتهم.

وكان الشيخ يقول: إن شيوخ الطرق الصوفية ينتمون وينتهى نسبهم إلى كبار الصحابة الذين تلقوا العلم والمعرفة من المعلم الأمثل والكامل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وظهرت عليهم البركات والكرامات وورثوها لمن جاء بعدهم.

حُبّ القرآن الكريم: كان الشيخ يحب القرآن الكريم فكان يتلوه ويحفظ قصار سوره وكان يعلم أن القرآن هو الملاذ والخلاص والملجأ والمفر إلى الله فيه النور والهدى فهو حبل الله المتين وعروته الوثقى والكلم الطيب من تمسك به هُدِي ومن حكم به عدل ومن استضاء به اهتدى ومن تعلق به نجا ومن تعهده بالحفظ حفظه الله ومن جعله أمامه في الدنيا أنقذه من أهوال يوم القيامة جاء نورًا من الملأ الأعلى ليضيء لنا سبل حياتنا فكان الشيخ -رحمه الله- يحبّ سماعه من غيره فتهتز مشاعره ويتحرك وجدانه ويرق قلبه ويطمئن مصداقًا لقول الله تعالى: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

وقد فرح الشيخ كثيرًا عندما بدأنا نقتني الكتب الدينية والتفاسير المختلفة للقرآن الكريم وكان يقول: "رأيتُ أبي في رؤيا وحوله أطفال يجلسون في أماكنَ مملوءةٍ بالكتب الدينية الكثيرة" والحمد لله وحده فقد رآنا الشيخ وقد امتلكنا الكتب الدينية الكثيرة وأصبح لدينا المكتبة التي رآها أبوه في الرؤيا التي عرضتْ للشيخ في منامه.

وكان الشيخ يحاول - بقدر جهده واستطاعته - تطبيق القرآن
سلوكاً في الحياة فلم يكن من أولئك الذين يحفظون الآيات
ويتشدقون بها فهم المتفيهقون المتنطعون الذين لم
يبلغ القرآن حلوقهم ، بل كان الشيخ مثلاً حياً
في تطبيق أحكام القرآن وآياته عملاً بخلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم عندما حدثت عنه السيدة عائشة
رضي الله عنها : « كان خلقه القرآن » ومما هو جدير
بالملاحظة أن الشيخ في سنوات حياته الأخيرة كان
يجعلني أنا وأخي مصطفى نؤمه في الصلاة ليسمع منا تلاوة
القرآن طمأنينة في الاستماع إليها بصوت جميل وترتيل
طيب حسن ، وإعجاباً منه لحفظنا الكثير من سور
وآيات القرآن الكريم ، وقد كنا نستشف ذلك منه
لأنه كثيراً ما كان يقدمنا للإمامة في الصلوات ، وإن
كنا نتحرج من ذلك لكونه نعم ولياً وتقياً وصالحاً
ونحن منه بمنزلة القشة في حمل بعير ، ولكننا كنا
نفطن لمقصده ومبتغاه فنسمع ونطيع علّنا
نحظى ببركته ونرجو الله القبول فالصلاة معه
سواء أكان إماماً أم مأموماً خير وبركة ، وقد
أسمعناه قرآناً وهو يعاني سكرات الموت فجلسنا
عند رأسه نقرأ له الكثير من القرآن فهو رحمة الله عليه .

حُبُّ الأولياءِ والصَّالحين :

كان الشيخ - رحمه الله - شديد التعلق بالأولياء الصالحين على اختلاف أقدارهم ودرجاتهم ومنازلهم وكان يعتبرهم الحبال الموثوقة المتينة التي توصِّل إلى معارج الرقي ومراقي الحبِّ الإلهي ، فكان لا يتكاسل عن التودد إليهم لحظة من حياته وكان دائم الزيارة لهم، كثير السعي إليهم وكان يعدّهم ظلّ الشجرة المحمدية على الأرض فهم مصابيح الهداية وقناديل الهدى وشموع الخير ومشكاوات السعادة وبحار الأمان وشطآن النجاة وجبال الأرض التي لا تميد والسهول الفسيحة التي فيها الأمن والأمان رحابهم واسع وجنابهم شاسع فيضهم عميم وخيرهم عظيم نورهم يسعى بين أيديهم وخلفهم ، فلم يشك الشيخ لحظة واحدة في كرامتهم ولم ينكر عليهم عظمتهم ولم يحط من شأنهم فلم يقدح مع القادحين ولم يهزأ مع الهازئين ولم يتطاول مع المتطاولين ، بل مدح مع المادحين وأسلم مع المسلمين وتابع مع التابعين ومشى مع الماشين وسلك مع السالكين

حتى أحبهم فأحبوه وطلب ما هم فيه فأعطوه
وتودد إليهم بالحب والقشوة فمنحوه وقتديه بهم
وبسلوكهم في طاعة الله فناولوه، زارهم راكبا
ومترجلا، وطاف عليهم بالليل والنهار، توارد أسماؤهم
على خاطره فذكرهم، وأثبت ملامحهم إلى عقله وبصيرته
فاستحضرهم وعرفهم، كان لا يقبل عليهم فرية
ولا يحب أن يستمع لمنكر لهم كلمة، بل كان
إذا تطاول أحد عليهم في مجلسه هب واقفا غاضبا
لأن من سبهم فقد سب الله ورسوله وقرآنه
ومنهجه وصراطه المستقيم، فهؤلاء الأولياء والصالحون
كانوا في حياتهم علماء شرع وحق، تشرعوا قبل أن
يتحققوا، فأعطوا الشريعة والحقيقة، كانوا
فرسانا في العمل والجهاد بالنهار، وكانوا نساكا
عبادا بالليل، عرفوا أنفسهم فعرفوا الله،
استغلوا كل أوقاتهم في العمل والجهاد والمجاهدة
والصبر والمصابرة والمرابطة والطاعة والتقوى
وبذل النفس والنفيس حتى أعطاهم الله ما هم
فيه من النعيم المقيم، فأنى لجاهل أن ينكر
عليهم كراماتهم وهم أهل مصابيح الهداية،

حب الناس: كان الشيخ -رحمه الله ورضي عنه- محبًا للخلود متواضعًا لهم ولكنه كان يتودد أكثر إلى أولئك المساكين الذين يترفع الناس عن النظر إليهم أو الركون إلى جنابهم فكان ينتهج نهج رسول الله صلى الله وسلم سلوكه في خفض الجناح لهم عملًا بقول الله تعالى: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى».

وكان الشيخ في حبه للناس يلاقي العنت والمشقة لأن شياطين الإنس كانوا يسخرون منه أحيانًا بالكلام القبيح ولكن الشيخ -رضي الله عنه- كان قوي النفس شديد العزم كان لا يواجه السيئة بالسيئة بل يقابل السيئة بالحسنة لينال ما عند الله من الدرجات العلا مما رفع شأنه عند محبيه وحساده على حد السواء وكان يعرف أن المعروف يجعل الناس أسرى الناس كما قال الشاعر العربي:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

لطالما استعبد الإنسان إحسان

وقد تفانى الشيخ في البذل والعطاء حتى قد شمل عطاؤه الكثير من الناس ؛ فمنهم من أُعْطِيَ من صدقاته الكثيرة التي لم يطلع عليها إلا الله ومنهم من ناله عمله وجهده فقد سخَّر جسده في صنعته الشَّاقَّة فقد كان الشيخ متفانيا في خدمة الناس قدر استطاعته الأمر الذي جعل له أيادٍ بيضاء على العموم وكان دائمًا يعتقد أن أحبَّ الناس إلى الله أنفعهم لعباده وأن العبادة هي عمل ذاتيٌّ يُصيب الفردَ نفسه ولكن التعاون ومساعدة الناس وخدمتهم تُعلِي قدر المسلم عند خالقه لأنه يكون بذلك قد قهر المسلم نفسه وجعلها مسخَّرةً في الطاعة والخدمة حتى استطاع أن يحظى بحبِّ الخلق الذي قرَّبه من حبِّ الخالق .. وشيخنا الحسانين - رحمه الله ورضي عنه - دأب منذ صغره على حب الناس فقد خدم أُخته فاطمة - يرحمها الله - هي وأولادها لموت زوجها وهي لم تزل في سنِّ الشباب مما جعل الشيخ محبوبًا حبًّا جمًّا عندهم .

وأحب الشيخ أهله كلهم وأقاربه وجيرانه وعمله
وجيرانه كثيرًا حتى أحبوه هم الآخرون وفضلوه ،
وأحب الشيخ الفقراء والمساكين وجعل لهم عنده
حظًا فى ماله الذى يكسبه من عمله فى مهنة البناية
وكان يتودد إليهم بالليل والنهار ، وفضلا على ذلك
فقد تحبب إليهم بالعطاء من كل شىء .. بالملابس
تارة .. و بالطعام تارة .. حتى أحبه الجميع وعرفوا
فيه الصاحب الصادق والصديق الحميم والمخلص
الوفى والمؤمن الحق الذى صدق ما عاهد الله
عليه فلم يكن الشيخ متكلفًا فى يوم من الأيام
فقد عُرف بالسهولة والبساطة والطيبة وصفاء
النفس وصدق اليقين والتحمل والصبر
وكان نمطًا فريدًا ونوعًا نادرًا فى البذل والعطاء
ولما عرف أن الله قد هداه طلب منه المزيد
من الهداية إيقانًا بقول الحق جل شأنه :
« وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ »

حُبّ العبادة: كفانَ الشيخُ في الطاعة والتقوى
فآمن بالجليل وأيقن بالتنزيل ورضي بالقليل
واستعد ليوم الرحيل فصلّى بالليل والأبرار
وقام رمضان وتهجّد والناس نيام
وعشق الصلاة التي هي قوةٌ وعزةٌ للمؤمن وهي
الصلة بين العبد والرب وهي الدعاء المتصل
دون الحجاب وهي قرة العين وهي التي تُريح
الجسد من العناء وتُذهبُ عناءَ النفس
صلى الفروض والنوافل وأكثر منها فهي التي
تُقرّبُ العبدَ من الدرجات العُلا ومنازل
الأبرار وعرف أن أول ما يُسأل عنه العبد
يوم القيامة هي الصلاة فلم يلعب ولم يكسل
ولم يُسوّف ولم يتوانَ ولم يركن إلى
النفس والشيطان بل عصاهما وتمرد عليهما
لأنه عرف أن النفس والشيطان هما أعدى
أعداء الإنسان عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:
« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك »
وصام الشيخ رمضان الذي هو السّرّ مع الله

وعَبَدَ اللهَ في رمضانَ عبادةَ المكاشفة والمشاهدة
وكان يعمل في هذا الشهر ويمارس مهنته الشاقة ويتحمل
الجوع والعطش ابتغاءً للثواب والأجر المضاعف
وكان يكثر من الصدقات في رمضانَ تقرّبًا لله الكريم.
وكان يحب كثيرًا أن يُفطر معه الصائمين ليكونوا
من المقبولين ومن المقربين ومن المعتوقين من النار
في هذا الشهر .. وأخرج الشيخ الزكاة كاملة غير
منقوصة وكان يقول: ليس هناك حدًّا للزكاة
مع الله الكريم فنعم الله علينا لا تُحصى ولذلك كان
يُخرج الكثير .. ويتصدق بالكثير وكان يُخرج
زكاة رمضان مرتين في الشهر الواحد فيعطيها أن
يُخرجها أولًا لأنه طالبوها فلا يمنعه ذلك
من إعطائهم مرة ثانية بحيث لا يَرُدُّ سائلًا
ولا يَنهره .. يرحمك الله يا شيخ ويرضى عنك
فلقد كُنتَ جوادًا كريمًا معطاءً سخيًّا والله
ومهما يُعطي المرءُ فلن يصل لمثلك قطُّ
ذلك لأنك كُنتَ تُعطي من لا يخاف الفقر.

وأحبّ الشيخ حج بيت الله الحرام وتمنى كثيراً
أن يكتب الله له ذلك ولكن ضيق ذات اليد
ومطالب الأبناء السبعة لم يجعل له النصيب
ولكن الله العلى القدير بقدرته سوف ييسر منه
يحج له - إن شاء الله - وبذلك تقر عينه الشيخ
وكلما جاء موعد الحج كانت روح الشيخ تهفو
إلى الأماكن المقدسة .. ومن الطريف أن الشيخ
كان قد جهز جواز السفر إلى المملكة العربية السعودية
ليعمل مع محمد الإمام الذى جاء من هناك ليأخذه
معه حيث كان قد أرسله محمد كان يعمل معه
ولكن الله القادر المقدّر الذى يقول للشيء
كُنْ فيكون لم يشأ للشيخ أن يذهب إلى
هناك .. وقد اكتشفت أخيراً بتفكيرى وشفافيتى
أن الدنيا كلما كادت تقترب من الشيخ كان
الله يبعدها عنه رفقة لشأنه عنده وحفاظاً
عليه من زخرفها وزينتها الفانية بل
سخّره فى طاعته وعزّه ليحظى بالفوز العظيم.

حبّ العمل: أحب الشيخ العمل كثيرًا فقد كان معظم وقته يقضيه في ممارسة أعمال كثيرة فتارة كان يمارس مهنته الأساسية وهي البناية وتارة كان يجمع قطع الحديد المختلفة ويشكلها حسب رغبته ومهارته أو كان يجمع قطع الخشب المختلفة ويصنع منها كراسي وأرائك ليستخدمها في الأماكن التي يجلس فيها وكان كثيرًا ما يتعرض للتهلكة عليه وهو يمارس هذه الهوايات المحببة إليه كثيرًا .. وكان دائمًا يقول: «البركة في العمل والحرفة والحركة» وقد ترك في البيت بعد رحيله - يرحمه الله - آثارًا كثيرة تدل عليه كلما نظر المرء إليها ترحّم عليه كثيرًا وطويلًا .. أراه في الطوب الذي وضعه بيديه وآلته فصنع منه بيوتًا نسكنها .. أراه في الأماكن التي وضعها لنكون أماكن نجلس فيها نستروح الأوقات .. أراه في الآثار الخشبية الكثيرة التي تركها تغمر الدار .. حتى أن ابني محمدًا - أطال الله عمره - أصبح يقلد جده الحسائين في صنيعه هذا فيأتي إلى أدوات جدّه ويظل يضرب بعضها في بعض فنقول

له: ما تصنع يا محمد؟ فيقول: أعمل مثل جدي السانيه،
فنقول له: وأين ذهبت جدك السانيه يا محمد؟
فيقول: مع الميتين!! يا الله! يا الله!
إن الشيخ قد ترك أثره في كل شيء في البيت!
تأثر به الكبير والصغير على حدٍّ سواء.. وإن
الشيخ كان يحب العمل كثيرًا له ولغيره وكان
يخترع العمل اختراعًا بحيث لا يظل معطّل اليد.

ومن الطريف أنه في عام ١٩٦٤ أخذني أنا
ومحمدًا أخي وعارف ابن عمي أحمد، أخذنا جميعًا معه
إلى الأرض التي كان يمتلكها في حوض منقوش
البحري وكان قد شقّق وطرّق وفتّت وأصبح
التراب أكوامًا على حوافّيه.. فقال لنا:
تعالوا معي نعمل طوبًا، وكان يعطينا مالًا
وحلوى حتى لا نملّ ولا نسأم العمل معه
وظللنا نصنع الطوب وقد وصل إلى ثمانية آلاف
وبذلك من أن نبني بها كما وعدنا بأعلى الناس
لبثه مريح جدًا لعادته فقد كان قلبه رحيمًا.

ومن شدة حبه للعمل ترك آثاراً شاهدة عليه إلى ما شاء الله لا أن تكون ، فقد بنى لى ولمحمد أخى ولمصطفى بيوتاً عظيمة تحمل بركته وفضله وبنى لأخته فاطمة - يرحمها الله - بيتاً بكدّه وعرقه وبنى لأخته أمنية بيتاً بساعديه وتعبه .. وبنى لأخيه سالم بيتاً فى الإسماعيلية يشهد على جهده وعرقه وخير دليل على حبه للعمل .. ثم أنه كان يمارس الزراعة جنباً إلى جنب البناية حتى كان محبوباً كبنّاء وكفلاح يجيد حرفة الزراعة .. لأنه كان يقول : الفلاحة فلاحة والفلاح ماهر خبير لأنه أقرب الناس إلى مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ولعل كل ذلك أكسبه التحمل والصبر والجلد وصنع منه شيخاً عبقرياً فذاً ..

يرحمك الله ويرضى عنك يا سيدى الشيخ حسانين ونفعنا الله بك ماحيينا وما متنا وما بعثنا ليوم الجزاء .

حُبُّ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ :

أحبَّ الشيخ كلمة الأخلاق في أرقى معانيها، فقد كان يعرف أن المصطفى صلى الله عليه وسلم - قال : « أقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » وكان يعرف أن مجال الأخلاق واسع لا يسعه العمر مهما حاول المرء أن يتخلق .. فكان يُلقي السلام على من يعرف ومن لم يعرف، ويشمّت العاطس، ويساعد المحتاج، وينصح من يستنصحه، ويعود المريض ويشيّع الميت عملاً بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم - [حقُّ المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتّبِعْهُ] .. كان الشيخ يقول : إن أسرع طريق للوصول إلى الله أن تكون كريماً .. ذلك لأن الكرم صفة الخالق فالله يُعطي أن نشكر ويمنح قبل نجحد، والذي يتشبه بهذه الصفة يكون الرحمن قد أعطاه أجل العطاء .

وكان الشيخ يحب التسامح كثيراً لأنه كان أهلاً له فكان يُقابل السيئة بالحسنة ويُقابل القسوة باللين فكان يكظم غيظه ويعفو عن الناس

وكان يحسن إلى الناس كل الناس لأنه كان
يؤمن بقول الله تعالى: [والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين].

وكان الشيخ يحب الرحمة والرأفة فقد ملأ الله
قلبه بهما حتى كان رحيمًا بالإنسان والحيوان
فكان يتألم كثيرًا إذا رأى رجلًا يعذب حيوانًا
في العمل ويرهقه ويقول: (من لا يَرحم لا يُرحم)
وهو حديث حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأحب الشيخ التواضع الجم فكان لا يفتخر بشيء
على أحد أبدًا بل كان ممتلئًا حياءً..

وكان يتوارى عن الخلق مخافة الله فتنان
فقد أعطاه الله من فيوضه وأسراره البهية
والجلية .. فكان يحب الخلوة ليحظى بالجلوة،
لأنه كان يحمل نفسًا شفافة تحتاج بين الحين والحين
إلى استكناه مكنوناتها، وهذا لا يتأتى إلَّا إذا
كان منفردًا مع ذاته وخالقه، وفي أوقات
خلوته هذه كان يدرك النفس والروح والقلب
والبصيرة كل أولئك كان يسبح في نور الله

وفي أسرار ملكوت الله، وفي بحار فيوضات الله... فكأن
وقت الخلوة كان جلاءً وطلاءً لنفس وروح الشيخ.
وكان الشيخ - يرحمه الله - يتخذ لنفسه مكانًا للخلوة
أينما حلَّ ونزل، له في منزله خلوة، وفي حقله
وأرضه خلوة، بل في مكان العمل مع الخلوة خلوة،
وكان يشغل في خلوته بذكر الله كثيرًا وبتلاوة القرآن
الكريم وبالصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
فإذا أفد أحد عليه خلوته فكان الشيخ لا يبيع
حديث الدنيا يخترق الحجاب الذي ضربه حول
نفسه من أستار النور بينه وبين الناس،
فكان يلاطف ويمازح ويداري الداخل عليه
ثم يدير الحديث بسرعة فائقة نحو الله والدار الآخرة
لأنه كان يعلم جيدًا أن معاشر الناس لا همَّ لهم
إلَّا القيل والقال وأحوال الناس بالغيبة
والنميمة، فكان الشيخ يدير دفَّة الحديث بمهارة
فائقة حتى لا يحضر المجلس الشيطان.
ومن مظاهر ذلك أن الشيخ كان يدخل في حديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قصة عن
كرامة ولىٍّ لله، أو حتى فى حديثٍ دنيوى يوصّل
إلى أعتاب المعرفة والعلم عن الله.

ولو كان الداخل عليه قد مات أبوه أو أمه أو
كلاهما فكان الشيخ يذكره بالترحم عليهما والدعاء
لهما وقراءة الفاتحة لروحهما ثم يذكر الشيخ
أبويه هو الآخر ويطل الحديث ممتعاً شائقاً.
حتى إذا أفاق الشيخ من ذلك الثقل البشرىّ
رجع إلى نوره الذى كان يسبح فيه.

كلمةٌ عن الخلْوة:

• خلا يخلو خلوةً وخُلُوًّا إذا انفرد المرءُ بنفسه عن
الخلق ليستريح مع نفسه من عناءٍ أُلمَّ به أو من
أذى لحق به، أو من ضررٍ ناله من أحدٍ أو ليرتقى
بنفسه طلبًا للمنازل العليا والمدارج الأسنى،
فيجعل لنفسه مع نفسه فسحة من الوقت يصفو
لخالقه، والرسول صلى الله أول من ضرب مثلاً أعلى
فى الخلوة حيث كان يخلى بنفسه فى غار حراء بظاهر مكة